

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي
وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: 23]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

تهديدٌ للكافر
الذي أصرَّ على
كفره ولم تُجِدْ
معه موعظةً

بعدَ أَنْ بَيَّنَّ النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ الْأَصْلَيْنِ (التَّوْحِيدَ وَالْإِعَادَةَ)،
وَقَرَّرَهُمَا بِالْبَرَهَانِ، وَبَيَّنَّ الْقُدْرَةَ الْإِلَهِيَّةَ الْفَائِقَةَ التَّصَوُّرَ بِأَنَّهُ
سَبْحَانَهُ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ الْكَافِرِينَ غَيْرُ
مُعْجِزِينَ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، هَدَّدَ كُلَّ مُخَالَفٍ وَتَوَعَّدَ كُلَّ
كَافِرٍ أَصْرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَلَمْ تُجِدْ مَعَهُ مَوْعِظَةً وَلَا تَذْكِيرًا، فَلَا مَلْجَأَ لَهُ وَلَا
مَنْفَذَ لَهُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ⁽¹⁾، فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ
أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وَلَمَّا ذَكَرَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ
يَشَاءُ⁽²⁾؛ أَتْبَعَهُ بَيَانٌ ذَلِكَ⁽³⁾؛ وَبِالْقَطْعِ عَلَى الْكَافِرِينَ أَمْرَ الْإِسْتِدْلَالِ
وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْهُدَايَةِ مِنَ الضَّلَالِ؛ إِذْ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيرُ جُمْلَةٍ هِيَ:
(فَالَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَأُولَٰئِكَ
لَهُمْ نَعِيمٌ مُقِيمٌ) قَدْ عَطَفَ عَلَيْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ
اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿لِقَائِهِ﴾: (لَقِيَ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَوَافِي سَيِّئَيْنِ وَتَقَابُلِهِمَا،
وَكُلُّ شَيْءٍ اسْتَقْبَلَ شَيْئًا أَوْ صَادَفَهُ فَقَدْ لَقِيَهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا⁽⁴⁾، وَكُلُّ
(لَقِيَ) وَ(الْتَقَى) هِيَ بِمَعْنَى الْمُقَابَلَةِ وَالْوُجُودِ الْقَوِيِّ، أَي: يَسْتَقْبِلُهُ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 43/25، والشَّعْرَاوِيُّ، تفسير الشعراوي: 11123/18.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 233/20.

(3) البقاعي، نَظْمُ الدَّرَرِ: 419/14.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (لَقِيَ).

ويلقاهُ ويجده⁽¹⁾، واللَّقاءُ: مقابلةُ الشَّيءِ ومصادفته معاً، ويُقالُ ذلك في الإدراكِ بالحسِّ، وبالبصرِ، وبالبصيرة⁽²⁾، ومعنى الكفرِ بقاءُ الله في الآية: إنكارُ البعثِ بعد الموت والحساب والجزاء⁽³⁾.

(2) ﴿يَسْأَلُونَ﴾: (يأس) أصلٌ وهو قَطْعُ الرَّجاءِ⁽⁴⁾، واليأسُ: انتفاءُ الطَّمعِ، واليأسُ: القنوطُ، وهو ضدُّ الرِّجاءِ، أو هو قَطْعُ الأملِ عَنِ الشَّيْءِ⁽⁵⁾، وَيَسَّ مِنَ الأمرِ: قنَطَ منه، وانقطعَ أملهُ منه، وانتفى طمعهُ فيه، وقطعَ الأملَ منه⁽⁶⁾، واليأسُ شعورٌ حادٌّ بتمامِ استغلاقِ السَّبيلِ نحو خيرٍ مُعَيَّنٍ يصحبه سُخْطٌ، وَيَتَّبَعُهُ إِعْرَاضٌ تامٌّ عن المحاولة⁽⁷⁾، ومعنى ﴿يَسْأَلُونَ﴾ في الآية موافقٌ للمعنى اللغوي، أي: قَنَطُوا وانتفى طمَعُهُمْ فلا أملَ لهم في رحمة الله⁽⁸⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

البيان الإلهي في الآية الكريمة فيه تهديدٌ شديدٌ لكلِّ كافرٍ مُصِرٍّ لم تنفعْ معه موعظةٌ، فالَّذِينَ كَفَرُوا حُجِّجَ اللَّهُ، وأنكروا أدلَّتْهُ، وجحدوا لقاءه والورود عليه، يوم تقومُ السَّاعةُ، أولئك يَسْأَلُوا من رحمة الله في الآخرة؛ لَمَّا عَينُوا ما أَعَدَّ لَهُم من العذاب⁽⁹⁾، أو استحقُّوا اليأسَ من رحمة الله، ولا أملَ لهم فيها؛ لأنَّهم لم يخافوا عقابه سبحانه، ولم يرجوا ثوابه⁽¹⁰⁾، وأولئك لهم عذابٌ مؤلِمٌ موجِعٌ في الدُّنيا والآخرة⁽¹¹⁾.

الكافرُ بآياتِ الله
ولقائه محرومٌ
من رحمةِ الله،
ومصيره العذابُ
الأليمُ

(1) محمَّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (لقي).

(2) الزَّأب، المفردات: (لقي).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 233 / 20، وسيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 26 / 11.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (يأس).

(5) الزَّأب، المفردات، والزَّيْدِي، تاج العروس: (يأس)، والغبروز آبادي، بصائر ذوي التمييز: 374 / 5.

(6) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (يأس).

(7) محمَّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (يأس).

(8) المُرَاغِي، تفسير المُرَاغِي: 128 / 20.

(9) ابن جرير، جامع البيان: 23 / 20.

(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 233 / 20.

(11) المُرَاغِي، تفسير المُرَاغِي: 128 / 20.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلغة العطف في الآية:

عطف البيان القرآني قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾، وإن كانت هي بيان لها؛ لما فيها من زيادة الإخبار عن حكم الله بعذابهم؛ بأنهم لا ينالهم الله برحمة، وأنه يصيبهم العذاب الأليم⁽¹⁾.

ويحتمل أن تكون الجملة المعطوف عليها جملة مقدرة، بمعنى: (فالذين آمنوا بآيات ربهم ولقائه أولئك يرجون رحمتي وأولئك لهم نعيم مقيم)، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا﴾⁽²⁾.

نكتة استعمال الاسم الموصول ﴿وَالَّذِينَ﴾:

استعمل النص القرآني الاسم الموصول وصلته الفعلية في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾، ولم يستعمل الاسم الظاهر: (والكافرون بآيات الله ولقائه أولئك ...)؛ للإيماء إلى سبب الخبر وعِلته، وهو وصف الكفر⁽³⁾، فعلم من خلال جملة الصلة أن كفرهم بالقرآن وبالبعث هو السبب لما يلقونه من اليأس من رحمة الله والعذاب الأليم، وأن هذا يحصل للذين لم يقلعوا عن هذا الوصف قبل حلول الأمرين بهم، وفي التعبير بالاسم الموصول وصلته الفعلية كذلك عموم واستغراق يشمل كل من تحقق بوصف الكفر، ومن ثم فهو تحذير من الكفر وأسبابه، وذم وتهديد لأهله وأصحابه⁽⁴⁾.

بيان وزيادة
إخبار بشدة
عذاب الكافر

إيماء إلى سبب
الخبر، وهو
كفرهم بآيات
الله وبالبعث
الذي هو
سبب يأسهم
وعذابهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 233 / 20.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 419 / 14.

(3) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 196 / 2، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 342 / 9.

(4) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثريّ الجامع: 149 / 20.

دلالة التعبير بلفظ ﴿يَا أَيُّهَا﴾:

أتى البيان الإلهي بلفظ ﴿يَا أَيُّهَا﴾ في قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ دون غيرها من الألفاظ؛ لتشمل عدة معانٍ، فهي الأدلة الدالة على الوحدانية والنُّبوة والمعاد؛ من الآيات الكونية والمعجزات النبوية والقرآن الكريم، "ويدخل فيها النشأة الأولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دُخولاً أولياً⁽¹⁾"; وذلك لاتساع دلالة لفظ الآية؛ فهي تشمل معنى العلامة والمعجزة، والجزء المحدود من القرآن⁽²⁾، والآية هي العلامة الظاهرة⁽³⁾، ولذلك قيل لأعلام الطريق آيات؛ لأنهم وضعوها للإرشاد إلى الطرق الخفية في الرمال، وفي هذا دلالة على أن هذه الآيات هي الشيء المرشد على أمرٍ، من شأنه أن يخفى على الكافرين، وأنها الحجة التي تظهر لهم الحق الخفي⁽⁴⁾، وبالتالي كيف لهم أن يبقوا على كفرهم وعنادهم، وقد ظهرت دلائل الملك الأعظم المريئة والمسموعة التي لا أوضَح منها⁽⁵⁾.

دلالة جمع لفظ ﴿يَا أَيُّهَا﴾:

مجيء لفظ ﴿يَا أَيُّهَا﴾ جمعاً يدل على كثرة هذه الآيات وتعدُّدها، فكفرهم بها مع كثرتها يدل على شدة عنادهم وإعراضهم عن الحق، أي: والذين كفروا بآيات الله على كثرتها وتعدُّدها يستحقون اليأس من رحمتي، والعذاب المؤلم الموجه.

سرُّ إضافة الآيات إلى الله ﷻ:

جاءت الآيات مضافةً إلى الاسم الجليل في قوله ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ﴾؛ لما في الاسم الجليل من التذكير بأنه حقيق بأن لا يكفر هؤلاء

آيات كثيرات
باهرات
واضحات لا
تخفى إلا على
مكابِر جادٍ

بيان كفرهم
بآيات الله رغم
كثرتها وتعدُّدها

بيان أحقية آيات
الله العظيمة
بأن لا يكفر بها

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 36/7.

(2) ابن الجوزي، نزهة الأعيان التواظر، ص: 154 - 155.

(3) السمين الحلبي، غمدة الحفاظ: (أي).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 445/1.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 419/14.

المشركون بآياته⁽¹⁾ ولما في الاسم الجليل من تعيينٍ لحيثية كفرهم، وتهويلٍ لأمرهم، وتأكيده لاستحقاقهم العذاب الشديد، وإيدانٍ بأنَّ ذلك الاستحقاق لا يُشترط فيه الكفر بالكلِّ، بل يكفي فيه الكفر ببعض منها⁽²⁾، وفي الإضافة تشريفٌ وتعظيمٌ للآيات بالنظر للذي نُسبت إليه، وتهديدٌ ووعيدٌ بالنظر إلى الذين كفروا وصدّوا عنها، وتهاونوا باتباعها.

سِرُّ التعبير بالاسم الظاهر:

تنويه بشأن
آيات الله فهي
آيات للآيات
الأعظم سبحانه

عبّر البيان القرآني بالاسم الظاهر الجليل ﴿اللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، ولم يعبر بضمير التكلّم فلم يقل: (كفروا بآياتنا أو بآياتي) رغم أنّه صرّح بالاسم الجليل في الآية السابقة؛ وذلك للتنويه بشأن الآيات⁽³⁾، ولتربية المهابة في النفوس تجاه هذه الآيات الكونية والتّزليّة، فهي دلائل الملك الأعظم سبحانه المرتبة والمسموعة التي لا أوضح منها⁽⁴⁾، فهي تدلّ على ذات الله وصفاته وأفعاله⁽⁵⁾، كما أنّ المقام مقام المجازاة والمحاسبة على الكفر بآيات الله، فناسبه النصّ على الألوهية المنوط بها التّكليف.

بلغة العطف في قوله ﴿وَلَقَائِهِ﴾:

تنوع معاني
العطف دلالة
على ثراء اللفظ
القرآني

الواو في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلَقَائِهِ﴾ عاطفة، والمعطوف عليه لفظ (آيات)⁽⁶⁾، وقد أفاد هذا العطف عدّة معاني، ذكرها المفسرون نظراً لتنوع معنى لفظ (آيات) في الآية، فمن فسّر الآيات بالآيات الكونية، فالعطف عنده يفيد أنّ الكافرين جمعوا بين كفر بآيات الله على وحدانيته وقدرته، وعلى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 234 / 20.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5 / 2.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 234 / 20.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 419 / 14.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 36 / 7.

(6) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 416 / 7.

ذاته وصفاته، وكفر بالأدلة الدالة على ﴿وَلِقَائِهِ﴾ بأن أنكروا البعث والحساب والجزاء⁽¹⁾، أي: إنهم منكرون للمبدأ وللمعاد كليهما، ومن فسّر الآيات بالآيات التشريعية التي تتحدث عن المبدأ وعن النبوة وعن المعاد، فيرى عطف ﴿وَلِقَائِهِ﴾ على ﴿بَقَايَتِ اللَّهِ﴾ من قبيل ذكر الخاص بعد ذكر العام؛ تنبيهاً على أهمية المعاد، ومن فسّر الآيات بالآيات الكونية والتنزيلية معاً فالعطف عنده يفيد أن الكافرين جمعوا بين كفرهم بدلائل الله الكونية والتنزيلية وما ينتج عنها من الكفر ببقائه الذي تنطق به تلك الآيات⁽²⁾.

تخصيص (لقاء الله) بالذكر دون سواه:

خصّص البيان القرآني الكفر بقاء الله بالذكر من باب الإطناب؛ إذ في ذكر الكفر بآيات الله التنزيلية كفاية؛ لشمولها على الإيمان بقاء الله تعالى، وهذا من باب ذكر الخاص بعد ذكر العام - كما ذكرنا في لفظة سابقة -؛ تنبيهاً على أهمية ذكر هذا اللقاء، وهو يوم البعث والحساب في إقامة الحجّة عليهم؛ لأنّ العبد العاقل السوّي يحرص على طاعة أوامر سيّده وعدم مخالفتها، لأنّه يعلم أنّه سيعود إلى سيّده، وسيحاسبه عن أعماله كلّها، ولذا أقام البيان القرآني فيما سبق من آيات الدليل على قدرته على البعث بما لا أجلى منه⁽³⁾.

كما أن التعبير بلفظ لقاء الله - وقد كفروا به - فيه تخويف للكافرين؛ فإنّ المراد بقاء الله هو آثار رضاه وغيظه دون تأخير ولا إمهال ولا وقاية بأسباب عادية من نظام الحياة الدّنيا، وهو من باب الاستعارة التّمثيلية؛ لأنّ أصل كلمة اللقاء الحضور نحو الغير بقصد

بيان آثار غضبه
سبحانه على
الكافرين يوم
لقاءه دون
إمهالٍ

(1) سيّد طنطاوي، التفسير الوسيط: 26 / 11.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 36 / 7.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 419 / 14.

أو بغير قصد⁽¹⁾، وتدُلُّ كذلك على المواجهة والتَّماسُّ بقوة واستقبال الشَّخص قريباً منه⁽²⁾، ومقابلته⁽³⁾، فُسِّبَتْ حالة الخَلْقِ عند المصير إلى تنفيذ وعدِ الله ووَعِيدِهِ بحالة العبيد عند الحضورِ إلى سيِّدِهِم بعد غَيْبَةٍ لِيَجْزِيَهُم على ما فعلوا في مُدَّةِ المَغِيبِ⁽⁴⁾، وقريبٌ منه كلامُ الرَّسُولِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»⁽⁵⁾.

نكتة فصل قوله: ﴿أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي﴾:

إخبارٌ بأنَّ
جزاء الكافرين
التَّيْسُوسُ من
رحمة الله

فَصَلَ الْبَيَانُ الْإِلَهِيَّ بَيْنَ جُمْلَةِ ﴿أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي﴾ وَالَّتِي قَبْلَهَا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾، وَلَمْ يَأْتِ بِالْعَاطِفِ؛ لِمَا بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ مِنْ كَمَالِ اتِّصَالٍ، أَيِ: اتِّحَادٍ تَامٍّ فِي الْمَعْنَى؛ بِسَبَبِ كَوْنِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ خَبَرًا لِلْمَبْتَدَأِ (الَّذِينَ)⁽⁶⁾، أَيِ: هِيَ إِخْبَارٌ بِأَنَّ جَزَاءَ الْكَافِرِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ هُوَ التَّيْسُوسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

بلاغة إثارة التعبير باسم الإشارة للبعيد:

استحقاق
الكافرين لليأس
من الرحمة
وللعذاب الأليم

أَطْنَبَ الْبَيَانُ الْإِلَهِيَّ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ ﴿أُولَئِكَ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي، وَلَمْ يَقُلْ: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ يَسُوءُ)؛ لِإِفَادَةِ أَنَّ مَا سَيَذْكُرُهُ بَعْدَ اسْمِ الْإِشَارَةِ نَالَهُمْ مِنْ أَجْلِ مَا ذُكِرَ قَبْلَهُ مِنْ أَوْصَافٍ، أَيِ أَنَّهُمْ اسْتَحَقُّوا الْيَأْسَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَإِصَابَتَهُمُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِأَجْلِ كُفْرِهِمْ بِالْقُرْآنِ وَإِنْكَارِهِمُ الْبُعْثَ⁽⁷⁾ وَآثَرَ الْبَيَانِ الْحَكِيمِ أَنَّ يَكُونَ اسْمُ الْإِشَارَةِ لِلْبَعِيدِ؛ تَبْيِيْهُاً عَلَى ذَلِكَ الْوَصْفِ الْقَبِيحِ، وَهُوَ كُفْرُهُمْ بِآيَاتِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 437/1.

(2) محمَّد جبل، المعنى الاشتقاقي: (لقي).

(3) الزَّاعِب، المفردات: (لقي).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 189/7.

(5) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الرِّفَاق، الحديث رقم: (6142).

(6) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 417/7، والدَّعَاس، إعراب القرآن: 451/2.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 233/20.

الله ولفائه، فَهُمْ بُعْدَاءُ بُعْضَاءُ، انْحَطَّتْ دَرَجَتُهُمْ، وَأُبْعِدُوا عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ⁽¹⁾، فَيَنْبَغِي أَنْ يُتْبَاعَدَ مِنْهُمْ، وَمِنَ الْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ، وَمِنْ الْاِتِّصَافِ بِصِفَاتِهِمْ؛ فَهُمْ غَالُوا فِي كُفْرِهِمْ، وَأَوْغَلُوا فِيهِ⁽²⁾.

إِثَارُ التَّعْبِيرِ بِصِيغَةِ التَّيْسُوسِ:

آثَرَ النَّصُّ الْقِرْآنِيُّ التَّعْبِيرَ بِالْيَاسِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ ولم يعبر بلفظ آخر؛ للمبالغة في قطع رجائهم من رحمة الله، فالْيَاسُ يعني قَطْعَ الرَّجَاءِ مِنَ الْأَمْرِ⁽³⁾، وانتفاء الطَّمَعِ بِهِ⁽⁴⁾، وهو قُتُوطٌ مِنَ الْأَمْرِ، وشعورٌ حادٌّ بِتَمَامِ اسْتِغْلَاقِ السَّبِيلِ مِمَّا يُوْدِّي إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنِ الْمَحَاوَلَةِ⁽⁵⁾، فَأَرَادَ سُبْحَانَهُ رَدًّا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَعَظِيمِ صَنْعِهِمِ الْمَبَالِغَةَ فِي أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءَهُمْ وَطَمَعَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، فَهُمْ عَبْدُوا مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، وَلَا يَرْحَمُ نَفْسَهُ وَلَا يَرْحَمُهُمْ، وَتَرَكُوا مَنْ رَحْمَتُهُ وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَنْ بِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضُّرُّ⁽⁶⁾، فَاسْتَحَقُّوا أَنْ يَيَّاسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي لَمْ يَطْلُبُوهَا، وَلَمْ يَسْعَوْا إِلَيْهَا.

وَأَضَافَ الْيَاسَ إِلَيْهِمْ فَحَرَّمَ الرِّحْمَةَ عَلَيْهِمْ، وَلَوْ طَمِعُوا لِأَبَاحِهَا لَهُمْ، فَهُمْ تَلَبَّسُوا بِالْيَاسِ حَقِيقَةً⁽⁷⁾؛ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا الْحَيَاةَ الْآخِرَةَ فَكَانُوا آيَسِينَ مِنَ السَّعَادَةِ الْمُؤَبَّدَةِ وَالْجَنَّةِ الْخَالِدَةِ، أَوْ أَنَّهُ كُنَايَةٌ عَنْ قَضَائِهِ تَعَالَى الْمُحْتَوَمِ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا كَافِرٌ.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ «يَئِسُوا» مَاضِيًا:

عَبَّرَ النَّصُّ الْقِرْآنِيُّ بِصِيغَةِ الْمَاضِي فِي قَوْلِهِ: ﴿يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾؛

(1) أَبُو حَتَّىان، الْبَحْرُ لِلْحَيْطِ: 70 / 2، وَالْبِقَاعِيُّ، تَطْمُ الدُّرُز: 481 / 4.

(2) أَبُو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ: 1121 / 3.

(3) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَايِيسُ اللَّغَةِ: (يَاس).

(4) الزَّائِغُ، الْفَرْدَاتِ: (يَاس).

(5) الرَّيْبِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ، وَمُحَمَّدُ جَبَل، الْمَعْجَمُ الْاِشْتِقَاقِيُّ: (يَاس).

(6) الشَّعْرَاوِيُّ، تَفْسِيرُ الشَّعْرَاوِيِّ: 11123 / 18.

(7) الْفَخْرُ الزَّازِي، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 43 / 25.

مبالغة في
انقطاع الرجاء
وانتفاء الطمع
برحمة الله

مبالغة وتأكيد
بأن وعيد الله
للكافرين
بالياس من
رحمته متحقق
واقع لا محالة

تنبيهًا على تحقق وقوعه على سبيلِ المبالغةِ والتأكيدِ، من باب استعارةِ صيغةِ الماضي للتعبيرِ عن المستقبل، وهذا من عادة القرآن أنه يعبر عن أحداثِ يومِ القيامة بصيغة الماضي؛ للمبالغة في تحقق الوقوع، والتقديرُ: (أولئك سييأسون من رحمة الله لا محالة) ⁽¹⁾، وفي هذا وعيدٌ شديدٌ لهم؛ إذ صَوَّرَهُمْ كأنَّهم ماتوا وقامتِ الساعة، وانقطعت عنهم رحمة الله، وحصل لهم اليأس.

أو أنَّ الكلامَ على حقيقته، وليس من باب المجاز، والمعنى: يئسوا من رحمة الله في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء ⁽²⁾، "فالماضي على حقيقته لكنَّ المجازَ في اليأس؛ لأنَّه جُعِلَ ذلك الإنكارُ يأسًا بالقوَّة" ⁽³⁾، فهذا وصفٌ لحالهم؛ لأنَّ المؤمنَ إنَّما يكون راجيًا خاشيًا، فلا ييأس من رَوْحِ الله ولا مِنْ رَحْمَتِهِ، وأمَّا الكافرُ فلا يخطرُ بباله رجاءٌ ولا خوفٌ ⁽⁴⁾.

معنى ﴿مِنْ﴾ في قوله ﴿مِنْ رَحْمَتِي﴾:

رَحْمَةً مَبْتَدَأُهَا
مِنْ الرَّحْمَنِ فَلَا
يُخْزِمُهَا إِلَّا هَالِكٌ

جاء حرفُ ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾؛ ليدلَّ على معنى ابتداء الغاية، أي: إِنَّ الرَّحْمَةَ الَّتِي يَسْأَلُونَ مِنْ تَحْصِيلِهَا إِنَّمَا مَبْتَدَأُهَا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكيف لهم - وقد أَعْمَوْا قُلُوبَهُمْ واستنكفوا عنها - أَنْ يَدْخُلُوا فِيهَا، وَأَنْ تَشْمَلَهُمْ؟!

دلالةُ ذِكْرِ الرَّحْمَةِ دُونَ غَيْرِهَا:

الرَّحْمَةُ أَجْمَعُ
الْخَيْرِ وَأَعْظَمُهُ
وَأَنْفَعُهُ

ذكر النَّصُّ القرآنيُّ الرَّحْمَةَ في قوله سبحانه: ﴿مِنْ رَحْمَتِي﴾ تناسبًا مع السَّيَاق؛ لأنَّ الكافرينَ لَمَّا أَشْرَكُوا أَخْرَجُوا أَنْفُسَهُمْ عَنْ مَحَلِّ الرَّحْمَةِ؛ لأنَّ مِنْ يَكُونُ لَهُ جِهَةٌ وَاحِدَةٌ تَدْفَعُ حَاجَتَهُ لَا غَيْرَ يُرَحِّمُ، وَإِذَا كَانَ لَهُ جِهَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ لَا يُبْقِي مَحَلًّا لِلرَّحْمَةِ، فَإِذَا

(1) البَيضَاوِيُّ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 4/ 192، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 234.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 36.

(3) القَوْنَوِيُّ وابن التَّمْجِيد، حاشيتان على تفسير البَيضَاوِيِّ: 15/ 39.

(4) الرَّمْخُسَرِيُّ، الكشاف: 3/ 449، والطَّبِّي، فتوح الغيب: 12/ 159.

جَعَلُوا لَهُمْ آلِهَةً لَمْ يَعْتَرِفُوا بِالْحَاجَةِ إِلَى طَرِيقِ مَتَعَيْنٍ فَبَيَّأَسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ⁽¹⁾، وكذلك لما كان اليأس فيه انقطاع الرجاء عن خير، ذَكَرَ الرَّحْمَةَ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ الْخَيْرِ وَأَنْفَعُهُ وَأَشْمَلُهُ.

ويمكن أن يكون النص القرآني قد أطلق الرَّحْمَةَ، وأرادَ لازمها، وهو الْجَنَّةُ، وذلك كما جاء في آيات أخرى إطلاقاً اسم الرَّحْمَةَ على الْجَنَّةِ، كقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ⁽³⁰⁾﴾ [الجاثية: 30] وقوله سبحانه: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا⁽³¹⁾﴾ [الإنسان: 31].

سِرُّ إِضَافَةِ الرَّحْمَةِ إِلَى الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ:

أضافَ البيانُ الإلهي الرَّحْمَةَ لذاته العلية في قوله: ﴿يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾ لبيان عمومها لهم، ولزومها له، ولم يُضَفْ العذابُ لنفسه لتخصيصه بالكفار، ولِيُؤْذَنَ بِأَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ⁽²⁾، وبالمقابل قد أضافَ اليأسَ إلى الذين كفروا بقوله: ﴿أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ﴾ فلو طمعوا بالرَّحْمَةِ لأنزلها عليهم⁽³⁾، وبمجرد أن يقرأ القارئ قوله تعالى: ﴿مِنْ رَحْمَتِي﴾، وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، سينتابه إدراكُ بزيادةِ التَّحْسِيرِ عليهم، فهذه رحمةُ الله الواسعة، ومع ذلك لم ينالوها.

بِادْعَةُ الْإِتْفَاتِ مِنَ الْمُظْهَرِ إِلَى الْمُضْمَرِ:

بدأَ البيانُ القرآني بأسلوبِ استعمالِ الاسمِ الظَّاهرِ الغائبِ بقوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ لأنَّ استعمالِ الاسمِ الظَّاهرِ الغائبِ في قوله: ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ إنما هو لإظهارِ الاسمِ الجليل؛ تشنيعاً على الكافرين بأنَّهم كفروا بآياتِ صاحبِ ذلك

دلالةً على أنَّ
الرَّحْمَةَ وَالْجَنَّةَ
من الله، ومن
الكافرين اليأسُ
والقنوطُ

زيادة شعور
المؤمنين بالقرب،
وزيادة إحساس
الكافرين
باليأس

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 43 / 25.

(2) الهَرَبِيُّ، حقائق الرُّوح والرَّيحان: 388 / 21.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 43 / 25.

الاسم الجليل⁽¹⁾، ثم التفت إلى أسلوب ضمير المتكلم بقوله: ﴿أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي﴾⁽²⁾؛ ولم يقل: (أُولَئِكَ يَسُوءُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)، وذلك لأنه الأصل في التعبير عن الأشياء المضافة إلى ذات المتكلم، وفيه الكثير من زيادة شعور المؤمنين بالقرب منه سبحانه، موازنة لزيادة إحساس الكافرين باليأس، إذ التعبير بضمير المتكلم أشد وأبلغ في التأييس من رحمة الله، وأبلغ من التهديد بالغيبية.

توجيه التشابه اللفظي:

الفوز للمتقين
يناسبه
الخسيران
لكافرين،
وعجزهم
يناسبه يأسهم
من رحمة الله

أخبر البيان القرآني في آية العنكبوت عن الذين كفروا باستحقاقهم التأييس من رحمة الله والعذاب الأليم فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، بينما أخبر في آية الزمر عن الذين كفروا باستحقاقهم الخسران فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: 63]، وكل منهما مناسب لسياقه؛ فأما الحكم على الكافرين في آية العنكبوت باليأس من رحمة الله والعذاب الأليم؛ فلأن سياق الآية يتحدث عن انقلابهم إلى الله خاضعين مقهورين منقادين عنوة قد تبدلت وانقلبت أحوالهم وانكشفت سرائرهم بقوله: ﴿وَالِيَهُ تُقَلَّبُونَ﴾ مما سبب لهم اليأس، ويتحدث عن كمال عجزهم وتحقق يأسهم عن الانفلات والفرار من عقاب الله في الأرض أو في السماء، ويأسهم عن وجود قريب ينفعهم أو ناصر يدفع عنهم العذاب بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، وأما الإطناب في العنكبوت بذكر استحقاقهم للعذاب الأليم مع اليأس من رحمة الله؛ فذلك مناسب للسياق الذي أطنب في ذكر كفرهم؛ فقد كفروا بآيات الله

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 179.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 3/ 332.

الكونية والقرآنية وكفروا بالبعث، أي لما أطنب بذكر ما كفروا به أطنب بذكر ما يستحقون من عذاب.

وأما الحكم على الكافرين في آية الزمر بالخسران؛ فلأنه قد ورد في سياق الآية استحقاق المتقين للفوز فناسب ذكر ما يقابلهم وهو استحقاق الكافرين للخسران، في قوله تعالى: ﴿وَيَجِيءُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ الشَّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [النهم: 61]، وذلك جمعاً بين التَّغْيِبِ والتَّغْفِيرِ، وكذلك فإن لفظ الخسارة ناسب قوله سبحانه في الآية نفسها: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النهم: 63]؛ لأنهم لما كفروا بآيات من له مقاليد خزائن الخير عَرَضُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْحَرَمَانِ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ، وأعظمها خزائن خير الآخرة⁽¹⁾، وهل يوجد خسارة أكبر من هذه الخسارة، خسارة الاستفادة من خزائن من له مقاليد السموات والأرض.

بلغة الوصل والعطف:

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكُونُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ جاءت جملة ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ معطوفة على جملة ﴿وَأُولَئِكَ يَكُونُ مِنْ رَحْمَتِي﴾ وكلاهما تتحدث عن الجزاء الذي توعد الله به الذين كفروا بآيات الله ولقائه، فأفاد العطف جزاءً جديداً لهم وهو ما أعدّه الله لهم من العذاب الأليم، وفي هذا العطف مبالغة في التخويف والتهديد والوعيد فيما أعدّه الله للكافرين بأن جمع عليهم قَطَعَ رجائهم من رحمة الله مع عذابهم العذاب الأليم.

بلغة تكرار اسم الإشارة:

جاء النص القرآني باسم الإشارة مكرراً مرتين في قوله: ﴿وَأُولَئِكَ يَكُونُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ للتأكيد على

اجتماع اليأس
من رحمة الله
والعذاب الأليم
على الكافرين

تهديد للوصوفين
بالكفر والتنكيل
بهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 55 / 24.

اليأس من رحمة الله، والتأكيد على العذاب الأليم⁽¹⁾، ولو قال: أولئك يأسوا من رحمتي، ولهم عذاب أليم لتخيّل المتخيّل أو لوهم الواهم أنّهم جمعوا هاتين الصّفتين، ولا يوجد غيرهم، فهم انفردوا بكلّ صفة على حدة، بحيث لا تنطبق الصّفتان مجتمعتين، إنّما تنطبق كل صفة على انفراد، وأنّ كل حكم كالمستقل عن الآخر⁽²⁾؛ تكثيراً للتّكثير الحاصل بهم، وزيادة في تهديدهم ووعيدهم، وللإيماء إلى أنّ اليأس من الرحمة ثبت لهم بكفرهم فقد ثبت العذاب الأليم عليهم، فجعلت كلّ خصلة في تمييزهم بالعقوبة التي لو انفردت لكانت كافية، فأبرز الخبر في صورة جملتين توكيداً وتعظيماً⁽³⁾، كما في نظيراتها ممّا تكرّر فيه اسم الإشارة.

الغرض من تقديم الجارّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ على عامله:

تقدّم الجارّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ على المبتدأ ﴿عَذَابٌ﴾ في جملة التّذييل: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ ليبيّن اختصاص هؤلاء الكافرين بالعذاب الأليم واستحقاقهم له⁽⁴⁾، فلا يراه غيرهم من أهل المعاصي، وهو قصر صفة على موصوفٍ قصراً ادّعاءً، ونكتته: الإيماء إلى شدّة العذاب وألمه، وكأنّ العذاب الذي ينال غيرهم ليس بشيءٍ مقابل ما يلقي هؤلاء الكافرون، وفي هذا مبالغة في تخويف الكافرين، وفيه بشارة للمؤمن بالله واليوم الآخر بأنّه لا يناله هذا العذاب الأليم.

سرّ اختيار التّعبير بلفظ ﴿عَذَابٌ﴾ دون سواه:

عبّر القرآن بلفظ ﴿عَذَابٌ﴾ دون غيره من الألفاظ كالإهلاك أو العقاب؛ لتّساع دلالة لفظ العذاب، ومناسبته للسياق؛

استحقاق
الكافرين من
العذاب الشديد
الذي ليس
لغيرهم

جمع كلّ أنواع
الإيجاع والشدّة
للكافرين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنبير: 234 / 20.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 43 / 25، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 336 / 15.

(3) أبو حنّان، البحر المحيط: 70 / 2، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 36 / 7.

(4) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّريّ الجامع: 149 / 20.

فالعذابُ أعمُّ من الإهلاك ومن العقاب من جهة أنَّ العذاب قد يكون إيجاباً شديداً، ونكالاً وعقوبةً، وقد يكون إهلاكاً⁽¹⁾، وكذلك يصدق بإيقاع الإهانة والإذلال لذوي الكِبَر والاعتزاز، فهو يتفاوت في الأنواع والشدة والأثر⁽²⁾، فأصلُ العذاب هو الضَرْبُ ثُمَّ اسْتَعِيرَ ذَلِكَ فِي كُلِّ شِدَّةٍ⁽³⁾، وقيل أصله من المنع، لمنعه من معاودة ما عوقب عليه⁽⁴⁾، وهذه المعاني كلها معنى العذاب تتناسب مع السياق الذي هو في عقوبة الكافرين الجاحدين الذين تكبروا عن الإيمان بالله وبآياته ولقائه، وما أعدَّ الله لهم من عذاب أليم يجمع كل أنواع العذاب المؤلم الموجه الشديد جزاءً لهم على كفرهم، وكذلك تناسباً مع السياق الذي ورد فيه لفظ ﴿يُعَذِّبُ﴾ في قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾.

الغرض من تنكير ﴿عَذَابٌ﴾:

تنكير لفظة ﴿عَذَابٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يفيدُ تهويلَ هذا العذاب، فهو عذابٌ لا يُحْدِ حُدُّهُ ولا يُقَادِرُ قَدْرُهُ، بما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلبٍ بشرٍ، وفي هذا من الدلالة على كمالِ فظاعةِ حالهم ما لا يخفى بسببِ أوصافهم القبيحة⁽⁵⁾، وفيه ردُّعٌ وتخويفٌ لهم لينزجروا عن كفرهم وعيهم.

سرُّ وصف العذاب بـ ﴿أَلِيمٌ﴾:

جاء وصفُ العذابِ بأنه ﴿أَلِيمٌ﴾ في قوله سبحانه: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ للدلالة على غاية الشدة في الإيلام⁽⁶⁾، فلا يستطيع أن

تهويلٌ وتخويفٌ
بُغْيَةٌ ردع
الكافرين
وزجرهم

مبالغة في شدة
التنكيل والإيلام
والتعذيب

(1) الرَّاغِب، المفردات، والزَّيْدِي، تاج العروس: (عذب).

(2) ابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (عذب).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عذب).

(4) السمين الحلبي، غمدة الحفاظ: 43 / 3.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل: 36 / 7.

(6) الشَّوْكَانِي، فتح القدير: 229 / 4.

يُطِيقَهُ أَوْ يَتَحَمَّلَهُ أَحَدٌ⁽¹⁾، مع أَنَّ العَذَابَ لَا يَكُونُ إِلَّا مُؤَلِّمًا؛ لِأَنَّ الْأَلَمَ هُوَ صُلْبُ الْعَذَابِ، وَالْمَعْنَى عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي الْإِيلَامِ، فَكَأَنَّ الْإِيلَامَ تَكَرَّرَ فِي الْكَلَامِ، فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ مُؤَلِّمٌ، لَكِنْ أَتَى بِصِيغَةِ فَعِيلٍ لِلْمُبَالَغَةِ وَلِبَيَانِ أَنَّ الْأَلَمَ رَاسِخٌ فِيهِ.

ومجيءُ ﴿أَلِيمٌ﴾ على وزن فَعِيلٍ، بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ، وَبِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ، أَرَسَخُ فِي التَّهْدِيدِ؛ لِأَنَّ التَّعْبِيرَ بِالْأَلِيمِ جَاءَ لِيَشْمَلَ الْإِحْتِمَالَيْنِ؛ إِذِ اللَّفْظُ يَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ: أَلِيمٌ بِمَعْنَى مُؤَلِّمٌ، أَيْ عَذَابٌ يُوَجِّعُ مَنْ يَقَعُ عَلَيْهِ، وَأَلِيمٌ بِمَعْنَى مُؤَلِّمٌ، وَيَكُونُ مَجَازًا عَقْلِيًّا؛ لِأَنَّ الْمُؤَلِّمَ هُوَ الْمُعَذِّبُ لَا نَفْسَ الْعَذَابِ، وَالْقَصْدُ مِنْهُ بَلُوغُ الْعَذَابِ الْغَايَةَ فِي الْإِيلَامِ⁽²⁾.

نكتة تنكير لفظ ﴿أَلِيمٌ﴾:

مجيءُ صفةِ ﴿أَلِيمٌ﴾ للعَذَابِ نكرة في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يفيدُ المبالغةَ في بيانِ الألمِ الَّذِي يَحْمِلُهُ هَذَا الْعَذَابُ لَهُمْ، فَهُوَ عَذَابٌ لَا يَقَادَرُ قَدْرُهُ فِي الشَّدَّةِ وَالْإِيلَامِ⁽³⁾، وَلَا يَعْلَمُ مَقْدَارَ شِدَّتِهِ وَفُظَاعَتِهِ إِلَّا هُوَ سَبْحَانَهُ⁽⁴⁾، وَكَذَلِكَ جَاءَ نَكْرَةُ تَطَابُقًا مَعَ الْمَوْصُوفِ ﴿عَذَابٌ﴾ الَّذِي جَاءَ نَكْرَةً.

الغرض من حذف متعلق ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

تَنَوَّعَتْ تَفَاسِيرُ الْعُلَمَاءِ فِي بَيَانِ مَتَعَلِّقِ لَفْظِ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فَبَعْضُهُمْ قَدَّرَهُ بِـ(فِي الْآخِرَةِ)⁽⁵⁾، وَبَعْضُهُمْ بِـ(فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)⁽⁶⁾، وَقَدْ حَذَفَهُ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ لِإِفَادَةِ

عَذَابٌ لَا يَقَادَرُ
قَدْرُهُ فِي الشَّدَّةِ
وَالْإِيلَامِ

احتمال كون
العذاب الأليم
في الدنيا أو في
الآخرة أو فيهما
معًا

(1) محمّد الهلال، تفسير القرآن الرّبّيّ الجامع: 149/20.

(2) التَّبَيُّضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ: 45/3.

(3) أَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 36/7.

(4) سَيِّدُ طَنْطَاوِي، التَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ: 26/11.

(5) تَفْسِيرُ يَحْيَى بْنِ سَلَامٍ: 624/2، وَابْنُ جَرِيرٍ، جَامِعُ الْبَيَانِ: 23/20، وَالسَّمَرْقَنْدِيُّ، بَحْرُ الْعُلُومِ: 629/2.

(6) ابْنُ كَثِيرٍ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: 271/6، وَالْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدُّرَرِ: 420/14.

العموم؛ ذلك أنَّ الاسمَ وما في معناه متى قُيِّدَ بشيءٍ تقيَّدَ به، فإذا أطلقَه اللهُ تعالى، وحذَفَ المتعلِّقَ أفادَ التَّعميمَ، وكان الحذفُ أحسنَ وأبلغَ من التَّصريحِ بالمتعلِّقاتِ، وأجمَعَ للمعاني النَّافعة، فنتجَ عن ذلك أنَّ كلَّ ما يمكن أن يتخيَّله الإنسان من العذابِ الأليم في الدُّنيا أو الآخرة سَيَحِيْقُ بالكافرين وبنالهم.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الزّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الزّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 42، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-93-8

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 42: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الزّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-93-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»